



أحياء النحو

تأليف الأستاذ إبراهيم مصطفى

خير ما قدم به هذا الكتاب القيم إلى القراء أن تنشر هذه المقدمة التي صدر بها مؤلفه الفاضل فقد حدد فيها الموضوع ورسم الطريق وبين النهاية . ولرسالة بعد ذلك كلمة فيه

هذا بحث من النحو ، عكفت عليه سبع سنين وأقدفه إليك في صفحات سبع سنين من أوسط أيام العمر وأحراها بالعمل ، صدقت فيها الاعتكاف إلى النحو ، وإلى ما يتصل بمباحثه ، وأضمت له من حق الصديق والأهل والولد والنفس جميعاً . كان سبيل النحو موحداً شاقاً ، وكان الإيغال فيه ينقض قواي قهقراً ، ويزيدني من الناس بعداً ، ومن القلب في هذه الدنيا حرماناً . ولكن أملاً كان يرجيني ويحدوني في هذه السبيل الموحشة ؛ أطمع أن أغير منهج البحث النحوي للغة العربية ، وأن أرفع عن المتعلمين إصرار هذا النحو ، وأبدلهم منه أصولاً سهلة يسيرة ، تقربهم من العربية ، وتهدئهم إلى حفظ من الفقه بأساليبها . كانت بارقات الأمل - خادعة وصادقة - تدفعني في سبيل ، غير راحة ولا رانية . فليكن ما أنفق من هذا العمر ذخراً في أعمار الدارسين من بعد ، وليكن شيخوخة هذا الشيخ فدى للعربية ؛ أن تقرب من طالبها ، ويهد السبل لتعلمها .

اتصلت بدراسة النحو في كل معاهده التي يدرس فيها بمصر ، وكان اتصالاً طويلاً وثيقاً ؛ ورأيت عارضة واحدة ، لا يكاد يختص بها معهد دون معهد ، ولا تمتاز بها دراجة عن دراسة ، وهي التبرم بالنحو ، والضجر بقواعده ، وضيق الصدر بتحصيله ؛ على أن ذلك من دام النحو قديماً ، ولأجله ألف - التسهيل ، و - التوضيح ، و - التقريب ، واصططح النظم لحفظ ضوابطه ، وتقييد شوارده . والنحر مع هذا لا يملك عند المشكاة ، القول بالإن ، والحكم الفاصل . قد يهني في سهل القول ، من رفع فاعل ونصب مفعول . فإذا عرض أسلوب جديد ، أو موضع دقيق ، لم يسعفك النحر بالقول الفصل ، واختلاف الأقوال ، واضطراب الآراء . وكثرة

الجدل التي لا تنتهي إلى فصل ولا حكم ، كل ذلك قد أفسد النحو أو كاد ، فلم يكن الميزان الصالح لتقدير الكلام ، وتمييز صحيح القول من فاسده .

وإذا جئنا إلى مدارس الناشئين ، كانت المشكلة في تعليمهم النحو أشد وأكد ؛ فهو على ما تعلم من بعد تناوله ، وصعوبة مباحثه ، قد جعل المفتاح إلى تعلم العربية ، وكتب على الناشئ أن يأخذ بنصيبه منه ، منذ الخطوة الأولى في التعليم الابتدائي والثانوي ، واختير له جملة من القواعد ، قدر أنها تفي بما يحتاج إليه لإصلاح الكلام وتقويم اللسان ، ثم كانت خصومة هادئة قاسية بين طليعة التليذ ، وبين هذا المنهاج والقائمين عليه . أما التليذ فقد بذل الجهد وأعبأ ولم يبلغ من تعلم العربية أرباباً . وأما أصحاب المنهج ، فقد رأوا أن يزودوا في منهجهم ، ويكملوا التليذ حفظه من القواعد ، فلا سبيل له إلى العربية غير هذا النحو ؛ فزادوا في هوامش كتبهم ما يكمل القواعد ويتم الشروط - ثم تسلك هذه الزيادات إلى جوف الكتاب فضخم ، وزاد المنهاج المفروض - ولكن طليعة التليذ الصادقة في إباء هذه القواعد ، والتأمل بحفظها ، لم تخف شهادتها ، ولم يستطع جرحها ، فكانت ثورة على المنهاج وأصحابه ، وخفف منه ، وانقص من مسأله ، والباء لم يبرأ ، والعوارض لم تغير ، وتكررت الشكوى ، وعادوا على المنهاج بالنقص ، حتى كان المقرر قواعد من النحو مختلفة ، كما هي نماذج يراد بها عرض نوع من مسأله قد كان في هذا ، الشهادة الصريحة بفشل هذا النحو أن يكون السبيل إلى تعلم العربية ، والمفتاح لبابها .

ولقد بذل في تهوين النحوي جهود مجيدة ، واصطنعت أصول التعليم اصطفاً بارعاً ، ليكون قريباً واضحاً ؛ على أنه لم يتجه أحد إلى القواعد نفسها ، وإلى طريقة وضعها ، فيسأل : ألا يمكن أن تكون تلك الصعوبة من ناحية وضع النحو وتدوين قواعده ، وأن يكون الدواء في تبديل منهج البحث النحوي للغة العربية ؟

هذا السؤال هو الذي بالي ، وهو الذي شغاني جواربه طويلاً . ولقد تميز عندي نوعان من القواعد : نوع لا تجد في تعليمه عسراً ، ولا في التزامه عناء ، ولا ترى خلاف النحاة فيه كبيراً ، وذلك كالعدد ورعاية أحكامه في مثل : قال رجلان ، والرجلان قالوا . وقال

ودوست التنوين على أنه منبىء عن معنى في الكلام ، فصح لي الحكم واستقام ، وبدلت قواعد ، مالا ينصرف ، ووضعت للباب أصولا أيسر وأنفذ في العرية بما رسم النحاة للباب . ولا أوجل عنك إجمال هذه الأصول أيضا .

(١) إن التنوين علم الشكرين .

(٢) لك في كل علم ألا تنونه ، وإنما تلحقه التنوين إذا كان فيه حظ من التكثير

(٣) لا تحرم الصفة التنوين حتى يكون لها حظ من التعريف والبحث الذي أقدمه إليك الآن ، هو شرح موجز لهذه الفكرة ودرس لها في أبواب النحوا المختلفة ، وبيان لما رأينا من الأدلة لتأييدها وكنت أريد أن أشكر لصديق الدكتور طه حسين ، وأذكر فضله في إتمام البحث وإخراج الكتاب ؛ ولكنه آثر أن يقدم الكتاب ، وانزلق إلى النام على صاحبه ، فأجرت أن أنكلم .

وحق على أن أشكر تلاميذي الذين عاونوني في شيء من المباحث ، وإن لم لملك الآن أن أسميهم وأعمالهم .

وأحمد الله حمدا ملؤه التوحيد والتجديد والشكر .

قصة الكفاح بين روما وقرطاجنة

تأليف الأديب توفيق الطويل

للاستاذ محمد فريد أبو حديد

ما زال الناس يستلهمون التاريخ ويستمدون منه العبرة كلما ألجأتهم ضرورة في جاضرهم إلى ذلك ، فإن تجربة العصور في حاضرها لا تغني الناس إذا شاءوا التماس الحكمة أو استنباط القانون الإنساني ، وذلك أن حوادث السنين لا تتصل نتائجها بمقدماتها إلا بعد مضي القرون ولا تكمل عبرتها إلا بعد توالي الأجيال . وليس في تكرار القتل بعبر الزمان إعادة ولا في تعدد النظرات إليها إباحة لها أو ابتداء ، فإن الحادثة الواحدة قد تنطوي على ما لا حد له من العظائم ، وقد يتناولها الناس في كل عصر فيجد كل منهم فيها ناحية من المعنى مخالفة لما وجدته سواه من معانيها . ولقد كان النضال بين قرطاجنة ورومة أحد هذه المواقف التاريخية الفذة التي هزت العالم هزة قوية في إبانها ، وما زالت العصور التالية ترجع وتلفت صوبه ، وكل منها يشير إلى ما ينبغي من عبرة فيه أو يتحدث عنه حديثا يوجه إليه موقع الضوء عليه في ناظره ، وهكذا كان شأن الأستاذ توفيق الطويل ، مؤلف هذا الكتاب عند ما تناول بالبحث هذا النضال

رجال والرجال قالوا . فع دقة الحكم في رعاية العدد ، واختلافه تبعاً لموضع الاسم والفعل من الجملة ، لا تجد العناية في تصويره ، ولا الميزة في استعماله

ونوع آخر لا يسهل درسه ولا يؤمن الزلل فيه ، وقد يكثر عنده خلاف النحاة ، ويشتد جدلهم ، كرفع الاسم أو نصبه في مواضع من الكلام

ثم رأيت علامات العدد تصور جزءا من المعنى يحسه المتكلم حين يتكلم ، ويدركه السامع حين يسمع . أما علامات الإعراب ، قل أن ترى لاختلافها أثرا في تصوير المعنى ، وقل أن يشعرنا النحاة بفرق بين أن تنصب أو ترفع ؛ ولو أنه تبع هذا التبديل في الإعراب تبديل في المعنى ، لكان ذلك هو الحكم بين النحاة فيما اختلفوا فيه . ولكن هو الهادى للمتكلم أن يتبع في كلامه وجهها من الإعراب

فلأن حركات الإعراب كانت دوال على شيء في الكلام ، وكان لها أثر في تصوير المعنى ، يحسه المتكلم ويدرك ما فيه من الإشارة ومن وجه الدلالة ، لما كان الإعراب موضع هذا الخلاف بين النحاة ولا كان تعلمه بهذه المسألة من الصعوبة ، وزواله بتلك الميزة من السرعة

لهذه العلامات الإعرابية ممان تشير إليها في القول ؟ أنصور شيئا مما في نفس المتكلم ، وتؤدي به إلى ذهن السامع ؟ وما هي هذه المعاني ؟؟

والعرية - لغة القصد والإيجاز - أتلتزم علامات الإعراب على غير فائدة في المعنى ، ولا أثر في تصويره ؟

لقد أطلت تتبع الكلام ، أبحث عن معاني هذه العلامات الإعرابية ، ولقد هداني الله - وله خالص الاخبات والشكر - إلى شيء أراه قريبا واضحا ، وأبادر إليك الآن بتلخيصه :

(١) إن الرفع علم الاستاد . ودليل أن الكلمة يتحدث عنها

(٢) إن الجر علم الإضافة ، سواء أكانت بحرف أو بغير حرف

(٣) إن الفتحة ليست بعلم على إعراب ، ولكنها الحركة الخفيفة المستحبة ، التي يحب العرب أن يحموا بها كلماتهم ما لم يلفتهم عنها

لافت ؛ فهي بمنزلة السكون في لغتنا الدارجة

(٤) إن علامات الإعراب في الاسم لا تخرج عن هذا إلا في بناء أو نوع من الأنواع ، وقد بيناه أيضا .

فهذا جماع أحكام الإعراب ؛ ولقد تتبع أبواب النحو باباً باباً واعتبرتها بهذا الأصل القريب اليسير ، فصح أمره ، واطرد فيها حكمه .

ثم زدت في تتبع هذا الأصل ، فتجاوزت حركات الإعراب ،

الشرق، فقد كانت مصر عند ذلك تحت سلطان البطالسة العظام، وما كانت قرطاجنة إلا مدينة نامية تستولى على المال وتستخدمه في سبيل بسطة سلطانها بأن تسخر الجيوش لتتصر لها في حروبها، وما كان لمثل هذه المدينة أن تكون زعيمة الشرق أو الآخذة بزمامه في نضال السيادة العالمية، بل لقد كانت مصر أجدر منها بذلك وأحرى ويلوح لي أن المؤلف الفاضل لا يذهب مع أصحاب الرأي المتقدم فإنه وإن علم أن قرطاجنة لها رحم بالساميين لم يجعلها ممثلة الشرق في نزاع الأجناس، بل نظر نظرة أخرى تختلف كل الاختلاف عن تلك الوجهة التي أشرنا إليها، فهو لا يتعصب لها ولا يراها تمثل مثلاً من أمثلة الشرق العليا، بل إنه لينظر إلى المثل العليا لرومة على أنها أقرب إلى تمثيل مثل الانسانية عامة، وهو يتحدث عن حوادث نضال قرطاجنة ورومة حديث من يريد أن يتغلغل دون السطح ليتخذ من بحته عظة تنفعنا في حاضرنا فهو يريد أن يوجه أنظارنا إلى أن قرطاجنة قد فثت لأنها كانت جديرة بالفتاة، وأن رومة قد بقيت وتمت لأنها كانت جديرة بالبقاء والنمو، ثم هو يشير لنا وهو يسير في حديثه إلى الأسرار التي أهلت كلا من المدينتين إلى مصيرها وجعلتها جديرة بما نالها

خلفت الأساطير قصتين عن منشأ المدينتين المتنازعتين، وما أخرى هاتين الأسطورتين أن تكونا مختصراً لتاريخهما. فرومة تنشأ في العراء وتغذوها الوحوش ثم تروىها الدماء، ولكنها ترفض الاستكانة إلى الدعة ويطلب أهلها العيش في ظلال المكارة، فلا تزال مثلها العليا الحسونة والقوة والقسوة. وقرطاجنة تنشأ مرباً من مطامع الطامعين لتفرد في مأمن تتمتع فيه برغد العيش وذكريات السعادة، ولكنها لا تلبث أن تحرق نفسها دفاعاً لمطامع جديدة اتجهت إليها من ناحية أخرى. وما كان التاريخ ليحدثنا عن المدينتين إلا هكذا إذا شاء اختصار حكاية كل منهما في كلمات قليلة

ولأنه لمن ألد المطالع أن يتتبع القارى. وصف هذا الكتاب لحوادث تلك الحقبة من الدهر، فإن فيه خصالاً ثلاثاً تسمو به. دقة في البحث، وتفوذ في النظر، وجمال في الأسلوب وإلى لا تهب هذه الفرصة لتنهته تهته حارة على ما أصاب من إجابة وتوفيق م

محمد فريز أبو هريرة

وقع خطأ في البيت الثاني من قصيدة (شباب أم أماني) للدكتور عزام وصوابه: وللنسيم على أوراقها عبت ينثر الحسن فيه كل مكنون

لقد نظر المؤلف الفاضل إلى تلك الحرب التي يسميها التاريخ بالحرب اليونانية كما نظر سواه إليها ووصفها ورسم لنا منها صورة خاصة لا أظن أنها تشابه صورة أخرى رسمها أحد في لغة العروبة فهو قد استدرج الذهن من موقعة إلى موقعة ومن صورة إلى صورة حتى بلغ به النهاية فأشار إليه مومناً إلى ما تحت قدميه، فإذا بالعبارة التي كان يرعى إليها مائلة واضحة لا يستطيع أحد أن يخالف فيها ولقد كانت الشعوب الانسانية منذ القدم ينافس بعضها بعضاً في كل ميادين النشاط والمطامع، فلقد كانت تنافس في امتلاك الأراضي وفي الانتفاع بالمراعي، وكانت تنافس في القوة والمنعة ثم هي تنافس اليوم في كل هذه المعاني بوسائل سلبية تارة وحرية أخرى. غير أن ذلك التنافس الانساني كانت له مظاهر عدة، فقد كان يحدث بين وحدات القبائل الصغيرة في دائرة محدودة كما كان يحدث بين الأجناس والشعوب في دوائر أوسع، فانا لا نكاد نجد عصرأ خلا من محاولة شعب من شعوب الأرض سيادة سائر الشعوب ونبوغ شعب آخر يتصدى له بالدفاع، فإذا بشعوب الأرض موزعة بين الزعيمين المتنازعين حتى ينتهي الأمر باذعان أحدهما أو انقراضه وضباع سلطانه. وقد حاول بعض علماء التاريخ أو الاجتماع أن يخلصوا من استقرار ما حدث من ذلك النضال في كل العصور إلى أن أجناس العالم بينها طائفتان كبيرتان لا تفتأ تميل إلى النزاع والنضال على سيادة الأرض، فيسمون طائفة من الطائفتين شرقاً والطائفة الأخرى غرباً، ويقول هؤلاء العلماء إن النضال بين هاتين الطائفتين دائب مستمر استمرار الليل والنهار فقد يحدث أن شعبين من طائفة واحدة يثوران حيناً للنضال ثم لا يلبثان أن يستقرا على نوع من التفاهم والتجاور، في حين أن الطائفتين الكبيرتين لا يستقر بينهما النضال بل لا تزالان تتصاولان وتتصارعان. فأما إحداها سيدة غالبية، والأخرى تناضل في سبيل الحياة تجاهها، وإما أن تغلب الآية فتصبح السيدة مسودة والمستضعفة سيدة، وهؤلاء العلماء يجعلون قرطاجنة وروما رمزين لهاتين الطائفتين الكبيرتين في العصور التي سبقت الميلاد بقرنين أو ثلاثة. كما أنهم يجعلون حرب الفرس واليونان رمزاً لذلك النضال قبل ذلك، وحرب العرب والروم ثم الفرنج رمزاً له في العصور الوسطى

ومهما يكن من أمر هذا الرأي فانا لا نستطيع أن نفرضي عما فيه من الضعف والتعسف، فالحقيقة التي لا شك فيها هي أن أم الأرض تتنازع وتتناضل فيما بينها. وأن ما بقي بعد ذلك من التحديد ناشئ من الظروف والحوادث. ولقد كان نضال قرطاجنة ورومة بغير شك من أروع مواقف النزاع العالمي، ولكن لم تكن رومة لتمثل عند ذلك شيئاً اسمه الغرب، ولم تكن قرطاجنة تمثل شيئاً اسمه